٩

فجر الحرية

حيفا محمد استيتي

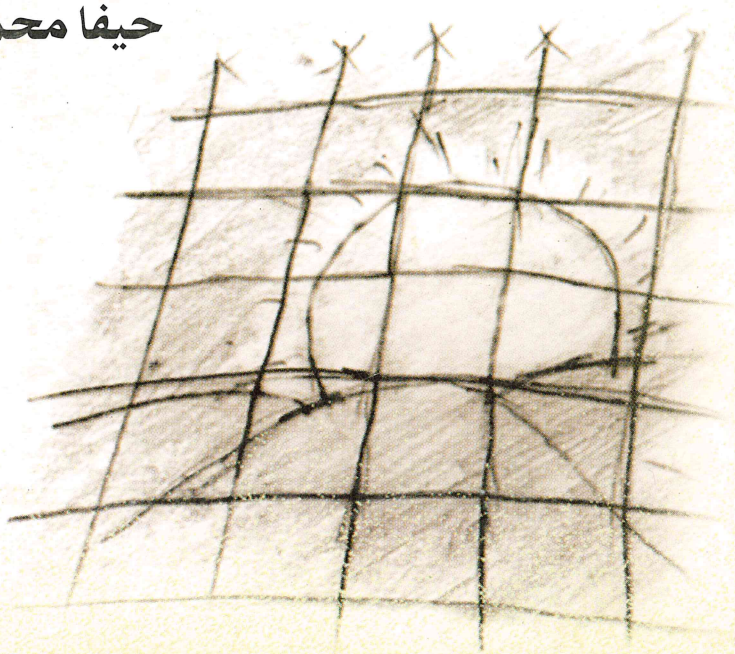

مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي

F
IST
c.1.

فجر الحرية

تأليف ورسومات :

حيفا محمد استيتي

مؤسسة تامر
رام الله

الاسم : حيفا استيتي

العمر : ١٤ سنة

الصف: الثامن

المدرسة: الخنساء الثانوية

البلده : جنين

F
EST
C1,

إهداء

إلى أمي التي ضحت من أجلي... إلى أبي الذي ضحى من أجل وطنه ... إلى جدتي التي ضحت من أجلي...

إلى كل من ضحّى من أجل فلسطين وأطفال فلسطين ... إلى كل من ضحى من أجل شمس الحرية...

إلى السجناء والشهداء والجرحى والمشردين... إلى كل طفل من أطفال فلسطين وكل طفل من أطفال العالم يحلم ويكافح من أجل تحقيق حلمه...

أهدي قصتي هذه.

بداية الحكاية

بدأت قصتي مع بداية الانتفاضة الفلسطينية حيث كنت أعيش وسط إخوتي الثلاثة ووالديّ وجدتي في حي هادئ من أحياء مدينة جنين. كنا نحيا حياة هادئة مستقرة.

لكن الحال تغير كثيراً في أول مرة دخل والدي فيها السجن بسبب نضاله السياسي. كنت أبلغ السادسة من عمري. لقد حلمت أن يصطحبني والدي إلى المدرسة في أول مرة أذهب إليها؛ ولكن قضبان السجن حالت دون تحقيق ذلك الحلم. فرافقت صديقاتي إلى هناك. كنت مجتهدةً جداً لأني عرفت أنَّ عليّ أن أكون في القمة دائماً لكي أشق طريقي إلى المستقبل.

رغم ذلك كنت أشعر بالحزن، كلما كانت معلمتي تسألني عن مهنة والدي، كنت أجيب في كل مرة: "سجين". كنت أتمنى أن يراني والدي وقد ارتديت زي المدرسة المخطط باللونين الابيض والازرق، وكنت أحلم أن يراقبني وأنا أقرأ دروسي أو يوقع اسمه على ورقة الإمتحان بالعلامة الكاملة.

مازلت أذكر كيف انتظرت تسلُّم شهادتي بفارغ الصبر ، وما إن تسلمتها حتى هرعت إلى السجن، لأن ذلك اليوم كان يصادف يوم زيارة المعتقلين، وعندما دخلنا إلى الغرفة المخصصة للزيارة، أسرعت لأُري شهادتي لوالدي ولكن من وراء القضبان اللعينة.

مرت تلك الأحداث سريعة متتابعة، ولم يكد والدي يخرج من السجن، وتستقر بنا الحياة، حتى داهمنا جنود الإحتلال مرة أخرى آخذين أبي معهم إلى جحيم السجون؛ لكي يبدأ مشوارٌ شاقٌ آخر .. وهكذا كانت أمي تعمل وتشقى من أجلنا، وكذلك جدتي العجوز، وكنت أتحمل المسؤولية الكاملة في العناية بإخوتي لأني أكبرهم سناً؛ لم أكن كأي طفلة بالعالم ، فقد ربيّت إخوتي الصغار وكنت أعتني بهم أثناء غياب والدتي التي كانت تضطر كثيراً لتركنا وحيدين في البيت ... لقد كنت أمّاً في الوقت الذي كنت فيه بأمس الحاجة فيه إلى أمي، وكنت مربية رغم أني أحتاج إلى من يربيني ويعتني بي .. نعم لقد كنت أكبر من سني بكثير، لكنّ هذا ساهم في صقل شخصيتي؛ ليجعل مني إنسانة قيادية قادرة على تحمل المسؤولية، وفهم الحياة على الوجه الصحيح.

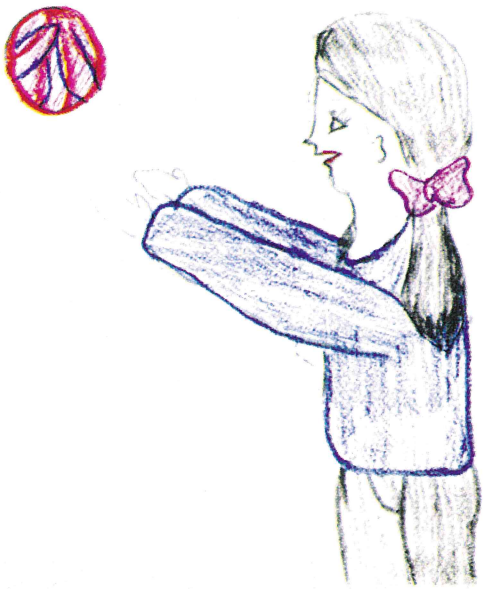

قصة آرنا

آرنا كانت سيدة مناضلة ومكافحة: مدّت يدها لتساعد أطفال جنين، وتقدم لهم كل ما هو مفيد. وتدافع عنهم وتحميهم من اضطهاد الاحتلال. وكانت تعمل في مؤسسة "فليسقط الاحتلال" التي مقرها مدينة حيفا. وقد تدهشون إذا أخبرتكم بأنها كانت تحمل جنسية اسرائيلية. ولكنها في نفس الوقت تحمل أفكاراً ومبادئ سامية. جعلت منها إنسانة. تُحب الانسانية وتؤمن بحق كل طفل في العالم بالعيش الكريم في ظل والديه: كل هذا ساعدها لكي تكون أماً عظيمة لجميع الأطفال. وكانت بمثابة اليد الحانية التي ساعدتنا لكي نتغلب على مشاق الحياة ومصاعبها.

أسّست آرنا مراكز خاصة للأطفال سمتها "بيوت الطفولة". وقد كان لها أثر كبير في التخفيف من المعاناه التي عانيتها. فهناك كنت ألعب وأضحك. كما كنت أشعر بأني طفلة أحتاج إلى الطفولة وروعة الطفولة. وكنت أستعيد جزءاً من تلك الطفولة التي فقدتها بسب الاحتلال.

قصة السبع سنوات

في آخر مرة اعتُقل فيها أبي، حُكم عليه بالسجن لمدة سبع سنوات. من تلك اللحظة بدأ المشوار الصعب: فكان على أمي وجدتي أن تكافحا من أجل العيش الكريم لي ولإخوتي. أما أمي فبقيت تعمل في "بيوت الطفولة". وأما جدتي فحكاية كفاحها طويلة، أحكيها لكم بإيجاز فيما يلي :-

كفاح جدتي

جدتي تلك المرأة التي توفي زوجها في سنة ١٩٤٨، بعد أن أصيب برصاص العدو، وترك لها إبنتان وطفل يبلغ من العمر ٤٠ يوماً. ناضلت وجاهدت من أجل تربيتهم وتنشأتهم. هاجرت جدتي مع اللاجئين إلى عدة قرى، ثم إستقرت في مخيم جنين للاجئين، حيث وفّرت مصاريف تعليم والدي في الجامعة. كل ذلك ولم تكتف، وأبت إلا أن تجاهد وتناضل من أجل أحفادها. فكانت تعمل في كل مهنه تصادفها: في نسج الأغطية، جمع النباتات البرية وبيعها، جني العسل من الخلايا، زراعة الارض، صناعة الطوابين، الخ... وفي هذا أيضاً كان لي جزءٌ بسيط من المساعدة.

قصة كفاح أخرى

لم أكن أستيقظ قبل طلوع الشمس من أجل مساعدة جدتي فقط؛ بل من أجل زيارة أبي في السجن أيضاً لأنه كان علينا أن نذهب إلى مكان التسجيل لنسجل أسماءنا في قائمة الزائرين. كان من يسجل أولاً يزور أولاً. ولذلك كانت والدتي تستيقظ باكراً لتسجّل في البداية، وتزور في البداية. كما كانت تحتاج إلى من يرافقها إلى مكان التسجيل. فكنت أنا "بلا فخر" من يقع عليه الاختيار لكي أجلس معها في البرد وفي العراء. وقد يحالفنا الحظ فلا تمطر على رؤوسنا المكشوفة. لقد كانت حياتي عبارة عن قصص كفاح ونضال لا تنتهي.

زيارة إلى سجن النقب

في البداية كان والدي مسجوناً في نفس المدينة التي نسكن بها: "جنين". وكان ذلك "أخفّ بلا". ولكن للأسف تم نقله إلى سجن النقب. وعندما حان موعد الزيارة رافقت أمي في تلك الرحلة الطويلة. هناك رأيت الصحراء لأول مرة في حياتي. ولكني للأسف لم أستطع الدخول للزيارة لأن والدتي نسيت شهادة ميلادي التي كانت شرطاً أساسياً من أجل الدخول إلى الزيارة.
وهكذا تحملت آلام السفر ومشقة السفر وحرارة الجو الملتهبة وفي النهاية بقيت في الخارج ولم أرَ والدي.

المسؤولية تكبر

بينما كان والدي يقبع في السجن، حصلت آرنا على جائزة نوبل لحق الحياة والسلام؛ وكان لا بد لها من أن تسافر إلى "ستوكهولم"، عاصمة السويد، من أجل تسلم الجائزة. وقد قررت إصطحاب والدتي معها. وهكذا سافرت أمي إلى السويد. وهنا تضاعفت المسؤولية. فكان علي مساعدة جدتي ثم تنظيف المنزل، والقيام بجميع الأعمال المنزلية الأخرى، وتجهيز الطعام أثناء غياب جدتي. وكذلك مساعدة إخوتي في إتمام واجباتهم المدرسية، إلى جانب العناية بنفسي وبدراستي.
كانت المسؤولية الملقاة على كاهلي تتضاعف تدريجياً مع مرور الوقت. وكان عليّ أن أحتمل.

نهاية قصة النضال

بعد أن أمضى والدي ثلاث سنوات ونصف في السجن أُطلق سراحه مع من أُخلي سبيله من السجناء طبقاً لشروط معاهدة السلام. لكن فرحتنا لم تكتمل لأن والدي عند خروجه من السجن، ترك خلفه الكثير من السجناء الذين لم يستطيعوا العودة إلى أبنائهم. وكم كنا نتمنى لو كانت تلك الحرية التي حصل عليها السجناء نتيجة تضحيتهم وكفاحهم ونضالهم. ولكن لكل شخص رأيه الخاص فيما حصل، وبالذات العملية السلمية. ولكل شخص الحق بالتعبير عن رأيه.

النهاية

وهكذا انتهت قصتي وبزغ فجر الحرية. ولكن مع نهاية هذه القصة بدأت قصة أطول بكثير لا نستطيع التنبؤ بأحداثها أبداً؛ إنها قصة المستقبل الذي نجهله جميعاً.

ولكن بقدر ما نزرع الوعي والثقافة في نفوس أطفالنا بقدر ما نستطيع التخفيف من وقع المستقبل. فأطفال اليوم هم شباب المستقبل وبناته. فإذا زرعنا النبتة بالطريقة الصحيحة، وتعهدناها بكل ما لدينا من حرص وعناية، فإنها ولا شك ستعطي ثمارها الطيبة على أحسن وجه.

لذلك علينا أن نهتم بالحاضر لنأمن شر المستقبل.

آخر الكلمات

على الإنسان أن يحاول لكي ينجح. فالنصر لا يأتي بالتغني والنجاح ولا يأتي بالتمني...

هذا ما تعلمته من تجربتي في كتابة قصة حياتي. أيقنت أن فخر التجربة يكفيني. مع إيماني بأنه ليس كل من يحاول يفشل ولا كل من يحاول ينجح...

ولهاذا تركت قلمي ليسكب ما في داخلي من مشاعر وأحاسيس على الورق...

هذه قصتي صورة مصغرة عن الواقع الذي عاشه جميع أطفال فلسطين. ولكن كلاً منهم يصيغه بلغته الخاصة والمضمون واحد...

ومهمتكم يا أيها الكبار إعداد هؤلاء الأطفال

لكي يكونوا شباب الغد...

وياله من غد...

فجر الحرية

مكتبة مؤسسة تامر
Class #: ق
Serial #: 4701

F
ZST
C1

© حقوق الطبع محفوظة
مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي
ص.ب ١٩٧٣
رام الله، فلسطين

الطبعة الأولى، نيسان ١٩٩٨

تصميم وتنفيذ: مؤسسة الناشر للخدمات الفنية، رام الله، هاتف ٩٩٨٦٣٨٧ – ٠٢.

سلسلة كتابي الأول

منذ بداية عملها أولت مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي أهمية خاصة للتعبير بكافة أشكاله وصوره وعلى الأخص التعبير الكتابي كوسيلة للتعبير عن وتدوين الخبرات الذاتية والفردية والجماعية. ولقناعتنا بأن هذه الخبرة يمكن إكتسابها وتنميتها منذ الطفولة ولتشجيع الأطفال على التعبير الكتابي الإبداعي، فقد إرتأت المؤسسة وضمن فعاليات أسبوع القراءة الوطني لعام ١٩٩٥ طرح مسابقة (كتابي الأول) دعت فيها الأطفال من عمر ٨ إلى ١٤ عاما لكتابة سيرهم الذاتية وما تتضمنه من خبرات وتجارب خاصة، وقد استجاب لهذه المسابقة عدد من الأطفال والفتيان والفتيات.

ولم تكن هذه المسابقة لتأخذ طابع المسابقات التقليدية (سؤال وجواب، أو إختيار الفائز/ة الاول/ى فالثاني/ة ... وهكذا) بل كانت فكرتها إتاحة الفرصة للأطفال للتعبير عن ذواتهم بلغتهم الخاصة ورسوماتهم وأن يثبتوا لأنفسهم قبل الكبار بأنهم قادرون لا اتكاليون، منتجون لا مستهلكون.

تزداد قناعتنا يوما بعد يوم بروعة وحجم القدرات الكامنة لدى الأطفال والفتيان والفتيات التي تحتاج إلى توفير أجواء تساعدهم على تطويرها. ونستغل هذه الفرصة لدعوة جميع الأهالي والمؤسسات التعليمية وجميع العاملين مع الأطفال التركيز على هذا البعد الحيوي في تطور شخصية الطفل وهو النمو اللغوي والتعبير الكتابي.

وتقديرا لهذا الانتاج، تقرر نشر أفضل هذه المساهمات في سلسلة كتابي الأول التي تجدونها بين أيديكم ونأمل أن نستمر برفد هذه السلسلة من خلال مسابقة كتابي الأول التي سوف تنظم كل سنة بمناسبة أسبوع القراءة الوطني.

صدر من هذه السلسلة:

١٩٩٧:

١- قطتي النغنوشة
٢- مشيئة الله
٣- الصوص المحبوب
٤- عشر سنوات من عمري
٥- أحلى الايام وحياة شابة

١٩٩٨:

٦- قصة حياتي
٧- الحلم أصبح حقيقة
٨- طفولتي
٩- فجر الحرية
١٠- رحلاتي ومسيرة حياتي